

أساليب التربية الإسلامية في سورة (يونس)

ياسر خلف حواس

د. وليد سروجي

جامعة الجنان كلية الآداب قسم التفسير وعلوم القرآن

Methods of Islamic Education in Surat (Younes)

Yasir Khalaf Hawas

yasiralajeely1983@gmail.com

الملخص

شمل هذا البحث دراسة في تفسير القرآن الكريم وهي من اعظم وانبل الدراسات الانسانية كونها تختص بكتاب الله – ﷻ – إذ شمل أساليب التربية الإسلامية في القرآن الكريم خصوصاً في سورة (يونس) فتبين من خلالها ان التربية تأخذ محورين، الاول التربية بالترغيب وذكر فيه الجنة ونعيمها لمن يتبع كتاب الله – ﷻ– وما جاء فيه من بشارات لأهل الجنة بسبب اتباعهم هدي القرآن الكريم وفيه أهم نعمة من نعم الله – ﷻ – هو رؤية وجهه الكريم، ومن النعم الاخرى هو كل ما لذ وطاب وانعكاس ذلك ايجاباً على التربية الايجابية للمسلم .

من جهة أخرى تناول البحث التربية بالترهيب فبين الله – ﷻ – في آيات القرآن الكريم الترهيب من الكفر وعدم الركون إلى الدنيا كونها فانية كثيرة الغرور لمن يتبعها فالتذكير بخطرها دائماً تجعل المسلم حذراً من الانزلاق في متاهاتها وبالتالي سيسلك طريقاً ينجيه من أهوال يوم القيامة . **الكلمات المفتاحية:(يونس، التربية، الترغيب، الترهيب، موسى، هارون)**

Abstract

This research included a study in the interpretation of the Noble Qur'an, which is one of the greatest and noblest human studies as it is concerned with the Book of God - - □ As it included the methods of Islamic education in the Holy Qur'an, especially in Surat (Younes), through which it became clear that education takes two axes, the first is education by encouragement and mentions in it Paradise and its bliss For those who follow the Book of God - □- and what came in it of glad tidings for the people of Paradise because of their following the guidance of the Noble Qur'an, and in it the most important blessing of God - □ - is seeing His noble face, and among the other blessings is everything that is delicious and good, and that reflects positively on the positive education of the Muslim On the other hand, the research dealt with education through intimidation, so God - peace be upon him - explained in the verses of the Holy Qur'an the intimidation of disbelief and not relying on the world because it is mortal and a lot of delusion for those who follow it . Keywords: (Younis, education, intimidation, intimidation, Moses, Aaron)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .أما بعد:إن التربية الإسلامية هي رعاية الإنسان في جوانبه الجسمية والعقلية والعلمية والوجدانية والاجتماعية، وتوجيهها نحو الصلاح والخير والوصول بها إلى الكمال. ولما كانت التربية الإسلامية تقوم على الإيمان بالله عز وجل ومراقبته وحده والخضوع له، والعمل الصالح والتواصي بالحق، وتحري العلم والمعرفة الصحيحة، ونشرها بين الناس والتواصي بالصبر؛ لذا أصبحت فريضة على جميع الآباء والأمهات والمربين والمعلمين، وهذه مسؤولية وأمانة دينية يتوارثها الأجيال، جيلا بعد جيل؛ كي تتربى الناشئة على أصولها وتحت ظلالها، فلا سعادة ولا طمأنينة ولا راحة لهم إلا بتربية هذه النفوس وتلك الأجيال وفق ما شرعه الله لهم وسوف نتناول إن شاء الله في هذه الدراسة الطيبة المباركة الحديث عن التربية الإسلامية، مفهومها، وأسس منهجها، وأساليبها، ومكانة القرآن الكريم فيها، من خلال سورة يونس بالاعتماد على تفسير الإمام الرازي، وكيف أن القرآن الكريم هو المصدر الأول في إرساء دعائم التربية الإسلامية بكل أنواعها ومجالاتها.

أهمية البحث:

١–الكشف على القيم الإسلامية الأصيلة بأبعادها المحلية والإنسانية بما يخدم روح الإنسان وفقا للعقيدة الإسلامية السمحاء.

٢–نأمل أن تقدم الدراسة عونا للمشتغلين بالمجال التعليمي؛ لتجد هذه الأفكار والقيم طريقها للتنفيذ والتطبيق؛ لتحقيق ما يدعى بـ أسلمة المناهج.

منهجية البحث:اقتضى موضوع البحث أن يكون المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي ليصف الظاهرة دون تدخل الباحث بها معتمدا على الرواة وأمهات الكتب. والتزاماً بمنهج البحث العلمي وطبيعة موضوع الدراسة قسمت البحث على(ملخص باللغتين العربية والاجنبية، ومقدمة، وتسعة مطالب، وخاتمة، وثبت الهوامش والمصادر) .

المطلب الأول: التربية بالترغيب والترهيب.

تمهيد:

كثر أسلوب الترغيب والترهيب في سورة يونس –عليه السلام، وهو أسلوب عظيم وهام من أساليب التربية الإسلامية، ولم يفت الإمام الرازي –رحمه الله– أن يتكلم عنه في تفسيره لكل آية تعرضت له من هذه آيات السورة العظيمة، ويبين ما في هذا الأسلوب العظيم من فوائد وأهمية

بالغة في التربية الإسلامية، ومن ذلك قوله تعالى: أي: أنهم جعلوه لأنفسهم أعجوبة يتعجبون منها ونصبوه وعينوه لتوجيه الطيرة والاستهزاء والتعجب إليه! فهم ينكرون إيحاءنا إلى رجل من جنسهم من البشر، هذا التعجب في غير محله؛ لأن كل الرسل من البشر، من جنس المرسل إليهم؛ ليكون ذلك أدعى إلى قبول دعوتهم والتفاهم معهم، ومهمة هذا النبي الموحى إليه هي الإنذار من الناس: أي: أوحينا إليه بأن أنذر الناس، وخوفهم من عذاب النار يوم البعث، إذا ظلوا كافرين ضالين عاصين، والمهمة الثانية: تبشير المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم قدم صدق عند ربهم، أي: سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة عند الله في جنات النعيم، وأجرا حسنا بما قدموا، والأعمال الصالحة: هي صلاتهم وصومهم وصدقهم في القول والفعل وتسبيحهم، فالله تعالى لما بين أنه أوحى إلى رسوله، بين بعده تفصيل ما أوحى إليه وهو الإنذار والتبشير، أما الإنذار فللكفار والفساق ليرتدعوا بسبب ذلك الإنذار عن فعل ما لا ينبغي، وأما التبشير فلأهل الطاعة لتقوى رغبتهم فيها وإنما قدم الإنذار على التبشير؛ لأن التخلية مقدمة على التحلية، وإزالة ما لا ينبغي مقدم في الرتبة على فعل ما ينبغي.

المسألة الأولى: التربية بالترغيب:

أولا: الترغيب في الهداية والجنة:

يرغب الله –عز وجل– في هذه الآية الكريمة، فيقول تعالى: أي: جمعوا بين الإيمان، والقيام بمقتضاه وبموجبه من الأعمال الصالحة، التي تشتمل على أعمال القلوب وأعمال الجوارح، على وجه الإخلاص والمتابعة، أي: يثيبهم الله أعظم الثواب؛ بسبب ما معهم من الإيمان، وهو الهداية، فيعلمهم ما ينفعهم، ويمن عليهم بالأعمال الناشئة عن الهداية، ويهديهم للنظر في آياته، ويهديهم في هذه الدار إلى الصراط المستقيم وفي الصراط المستقيم، وفي دار الجزاء إلى الصراط الموصل إلى جنات النعيم؛ ولهذا قال: الجارية على الدوام أضافها الله إلى النعيم؛ لأنها تشتمل على النعيم التام، نعيم القلب بالفرح والسرور، والبهجة والحبور، ورؤية الرحمن وسماع كلامه، والاغتباط برضاه وقربه، وسماع الأصوات المطربات، والنغمات المشجيات، والمناظر المفرحات، ولقاء الأحبة والإخوان، والتمتع بالاجتماع بهم، ونعيم البدن بأنواع المآكل والمشارب، والمناكح ونحو ذلك، مما لم يخطر على قلب بشر، ولم تعلمه النفوس، أو قدر أن يصفه الواصفون، أي: عبادتهم فيها لله، أولها تسبيح لله وتنزيه له عن النقائض، وآخرها تحميد لله، فالتكاليف سقطت عنهم في دار الجزاء، وإنما بقي لهم ذكر الله الذي تطمئن به القلوب، وتفرح به الأرواح، وهو أكمل اللذات، الذي هو ألذ عليهم من المآكل اللذيذة، وهو لهم بمنزلة النفس، من دون كلفة ومشقة. أما حينما يتلاقون ويتزاورون، فهو السلام، أي: كلام سالم من اللغو والإثم، موصوف بأنه وقد قيل في تفسير قوله: إلى آخر الآية، أن أهل الجنة –إذا احتاجوا إلى الطعام والشراب ونحوهما– قالوا: سبحانك اللهم، فأحضر لهم في الحال، فإذا فرغوا قالوا:

ثانيا: الترغيب في الجنة ورؤية وجه الله: ومن الآيات العظيمة التي اشتملت على أسلوب الترغيب في سورة يونس –عليه السلام–فالله عز وجل يقول لعباده: أيها الناس، إن مصير الدنيا وزينتها، إلى فناء وزوال فلا تطلبوها، مثل مصير النبات الذي ضربه الله لها مثلا إلى هلاك وبوار، ولكن اطلبوا الدار الآخرة الباقية، واعملوا لها، والتمسوا ما عند الله بطاعته، فإن الله يدعوكم إلى داره ويرغبكم فيها، وهي جناته التي أعدها لأوليائه، والتي فيها تسلمون من الهموم والأحزان، وتأمنون من فناء ما فيها من النعيم والكرامة التي أعدها لمن دخلها، وهو يوفق من يشاء من خلقه لإصابة الطريق المستقيم، وهو الإسلام الذي جعله تبارك وتعالى سببا للوصول إلى رضاه، وطريقا لمن ركبه وسلك فيه إلى جنانه وكرامته.فالله –عز وجل– يراعي مصلحة المدعوين، فيدعوهم من خلال القرآن الكريم، ويرغبهم في دار السلام وهي الجنة، فإن للذين يحسنون العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح: المثوبة الحسنى في الدار الآخرة، ولهم زيادة أيضا فوق ذلك وهي النظر إلى وجه الله –عز وجل، ولا يغشى وجوه أهل الجنة شيء من الغبرة التي فيها السواد، أو من الهوان والصغار مما يغشى وجوه الكفرة، والقتر: الغبار المسود، فأولئك هم الذين يستحقون الجنة وأصحابها حقا ووجوبا، ويقيمون فيها إقامة دائمة لا زوال فيها، وهذا على جهة المدح لهم والتشريف

المسألة الثانية: التربية بالترهيب:

أولا: الترهيب من الكفر والركون إلى الدنيا: ومن الآيات الكريمات في سورة يونس –عليه السلام– التي اشتملت على أسلوب الترهيب ففي هذه الآيات الكريمات يقول الله تعالى مخبرا عن حال الأشقياء الذين كفروا بلقاء الله يوم القيامة ولا يرجون في لقائه شيئا، ورضوا بهذه الحياة الدنيا واطمأنت إليها نفوسهم، أي: ركنوا إليها، وجعلوها غاية مرامهم ونهاية قصدهم، فسعوا لها وأكبوا على لذاتها وشهواتها، بأي طريق حصلت حصلوها، ومن أي وجه لاحت ابتدروها، قد صرفوا إرادتهم ونياتهم وأفكارهم وأعمالهم إليها، فكأنهم خلقوا للبقاء فيها، وكأنها ليست دار ممر، يتزود منها المسافرون إلى الدار الباقية التي إليها يرحل الأولون والآخرون، وإلى نعيمها ولذاتها شمر الموفقون، قال الحسن: والله ما زينوها

ولا رفعوها حتى رضوا بها وهم غافلون عن آيات الله الكونية، فلا يتفكرون فيها والشرعية فلا يأتمرون بها، فإن مأواهم يوم معادهم النار جزاء على ما كانوا يكسبون في دنياهم من الآثام والخطايا، والإجرام مع ما هم فيه من الكفر بالله ورسوله واليوم الآخر

ثانيا: الترهيب من عاقبة الأمم السابقة:ومن الآيات العظيمة التي اشتملت على أسلوب الترهيب في سورة يونس –عليه السلام– أفالله –عز وجل– يرهب كفار مكة ويحذرهم ويخوفهم من أن تكون عاقبتهم كعاقبة من كانوا قبلهم من الكفار، يعني من الأمم الماضية من قبل أهل مكة أهلكهم الله، لما كفروا وأشركوا، وجاءتهم رسلهم بالمعجزات الواضحات والبراهين النيرات، وإنما أهلكهم الله لعلمه أنهم لا يؤمنون، فالله عز وجل يخوف كفار مكة عذاب الأمم الماضية، أي: نحن قادرون على إهلاك هؤلاء بتكذيبهم محمدا –صلى الله عليه وسلم، ولكن نمهلهم لعلمنا بأن فيهم من يؤمن، أو يخرج من أصلابهم من يؤمن، وهذه الآية ترد على أهل الضلال القائلين بخلق الهدى والإيمان، وقيل: معنى أي: أن الله جازاهم على كفرهم بأن طبع على قلوبهم، وقال:، أي: جعلهم سكانا في الأرض أي: من بعد القرون المهلكة؛ ليقع منكم ما تستحقون به الثواب والعقاب، ولم يزل يعلمه غيبا، أو يعاملكم معاملة المختبر إظهارا للعدل؛ أو لينظر رسلنا وأولياؤنا كيف أعمالكم

ثالثا: الترهيب من مصير الظالمين:ومن الآيات العظيمة التي اشتملت على أسلوب الترهيب في سورة يونس –عليه السلام– أيضا قوله تعالى: يرهب الله –سبحانه وتعالى– عباده ويخوفهم من خلال بيان مصير الظالمين، بعد أن رغبهم في حسن عاقبة المحسنين؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة، أي: إذا كان جزاء الذين أحسنوا الحسنى وزيادة، فإن جزاء الذين اجترحوا السيئات، واقترفوا الموبقات، سيئات مثل السيئات التي ارتكبوها كما والمقصود أنهم كما كسبوا السيئات في الدنيا، فإن الله –تعالى– يجازيهم عليها في الآخرة بما يستحقون من عذاب ومصير سيئ، وسوف تغشاهم وتغطيهم ذلة عظيمة ومهانة شديدة، وكأنما ألبست وجوههم قطعا من الليل المظلم حتى صارت شديدة السواد واضحة الكدرة والظلمة، والمتصفون بتلك الصفات الذميمة، أصحاب النار هم فيها خالدون خلودا أبديا لا نهاية له

المطلب الثاني: التربية على التفكر في وحدانية الله وتدبيره للأمر.

ومن أساليب التربية الإسلامية التي استخدمتها سورة يونس –عليه السلام، والتي بينها الإمام الرازي –رحمه الله تعالى– في تفسيره أسلوب التربية على التفكير في وحدانية الله –عز وجل، وكيف أنه يدبر الأمر ويصرفه ويبدئ الخلق ويعيده، وهو أسلوب عظيم وهام من أساليب التربية الإسلامية، ومن ذلك الحث على التفكر في أن الله هو:

أولا: الواحد الخالق المدبر اعلم أنه تعالى لما حكى عن الكفار أنهم تعجبوا من الوحي والبعثة والرسالة، ثم إنه تعالى أزال ذلك التعجب بأنه لا يبعد البتة في أن يبعث خالق الخلق إليهم رسولا يبشرهم على الأعمال الصالحة بالثواب، وعلى الأعمال الباطلة الفاسدة بالعقاب، كان هذا الجواب إنما يتم ويكمل بإثبات أمرين: أحدهما: إثبات أن لهذا العالم إلها قاهرا قادرا نافذا الحكم بالأمر والنهي والتكليف والثاني: إثبات الحشر والنشر والبعث والقيامة(١).ووجه الرد بهذه الآية على منكري النبوة، أن الله –سبحانه– خالق الأكوان، وفاطر السموات والأرض على هذا النظام البديع المحكم، المستوي على عرشه المدبر لأمر ملكوته وحده دون سواه، فيمكنه ولا يستبعد عنه أن يوحي بشيء من علمه على بشر من خلقه؛ ليهدى الناس إلى سواء السبيل، فإن ذلك كله مظهر من مظاهر قدرته وإردته وحكمته وتدبيره، فيجب على منكري النبوة الإيمان بهذا الوحي وتصديق صاحبه وتأييده بكل ما جاء به، ليس هناك شفيع يشفع يوم القيامة إلا من بعد إذنه، ولا يشفع إلا لمن ارتضىأتجهلون هذا الحق الواضح؟ فالله هو الذي خلق وحده السموات والأرض ثم استوى على العرش يدبر الأمر يفصل الآيات، لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وأن صاحب هذا كله هو ربكم فاعبدوه وحده، أتجهلون ذلك أفلا تذكرون؟!! ومرجعكم جميعا بعد الموت إلى الله وحده دون سواه، لا يتخلف أحد منكم أبدا، وهذا وعد من الله حقا.

ثانيا: مبدئ الخلق ومعيده:إنه يبدأ الخلق كله، وينشئه عند تكوينه، ثم يعيده في النشأة الأخرى، أما البدء فمشاهد بلا نزاع، وأما الإعادة فالقادر على ابتداء الخلق قادر على إعادته، والذي يرى ابتداءه بالخلق، ثم ينكر إعادته للخلق، فهو فاقد العقل منكر لأحد المثلين مع إثبات ما هو أولى منه، فهذا دليل عقلي واضح على المعاد(، والهدف من الإعادة حساب الخلق بالعدل، فيعطى كل عامل حقه من الثواب، لا يظلمه شيئا

المطلب الثالث: التربية باستخدام أسلوب الحوار.

ومن أساليب التربية الإسلامية التي استخدمتها سورة يونس –عليه السلام، أسلوب التربية باستخدام أسلوب الحوار، وهو أسلوب جميل ورائع من أساليب التربية الإسلامية، والحوار هو مناقشة بين طرفين أو أطراف بقصد تصحيح الكلام، وإظهار حجة وإثبات حق، ودفع شبهة، ورد الفاسد من القول والرأي، وقد بين الإمام الرازي –رحمه الله– ما لأسلوب الحوار من أهمية بالغة في التربية الإسلامية من خلال تفسيره للآيات



التي تعرضت للحوار في سورة يونس.والناظر في القرآن الكريم يجد أنه يهدي الناس فيما يهديهم إلى أن يحتكموا إلى الحق، وإلى أن يسلكوا الطريق الصحيح إليه، وهو طريق المحاورة، حتى لا يضلوا فيسلكوا بادئ ذي بدء طريق القوة دون منطق، فيكونوا حينئذ قد سلكوا الطريق ذاتها التي سلكها سائر الحيوانات العجم حين تختلف، وهو طريق القوة البدنية دون منطق، فيجعل القرآن قضاياه كلها سبيلها الحوار، ويجعل كل خلافه مع أعدائه ومخالفيه قائما على الحوار، ولا يجعل من القوة سبيلا قط إلى التعامل مع المخالفين، وإنما يجعلها عقوبة للمصرين على الباطل بعد سطوع الحق؛ لتكون أيضا وسيلة إلى إعادتهم إلى الحق.ومن أمثلة الآيات القرآنية في سورة يونس التي استخدمت أسلوب الحوار في التربية الإسلامية ما يأتي:

أولا: الحوار حول الربوبية:فالله –عز وجل– يعلم النبي –صلى الله عليه وسلم– الحوار مع المشركين؛ ليبين لهم فساد مذهبهم، فيقول له: قل يا أيها الرسول لهؤلاء الذين يشركون مع الله غيره: من يرزقكم من السماء والأرض؟! من ينزل من السماء المطر؟ ومن يحيي الأرض بالنبات الذي تأكلون منه أنتم وأنعامكم؟أم من يملك السمع والأبصار؟ وأمره أن يحاورهم بالحجج الدامغة، والحجة الأولى: ما ذكره في هذه الآية وهو أحوال الرزق وأحوال الحواس وأحوال الموت والحياة. أما الرزق فإنه إنما يحصل من السماء والأرض، أما من السماء فبنزول الأمطار الموافقة وأما من الأرض، فلأن الغذاء إما أن يكون نباتا أو حيوانا، أما النبات فلا ينبت إلا من الأرض وأما الحيوان فهو محتاج أيضا إلى الغذاء ولا يمكن أن يكون غذاء كل حيوان حيوانا آخر وإلا لزم الذهاب إلى ما لا نهاية له وذلك محال، فثبت أن أغذية الحيوانات يجب انتهاؤها إلى النبات وثبت أن تولد النبات من الأرض، فلزم القطع بأن الأرزاق لا تحصل إلا من السماء والأرض، ومعلوم أن مدبر السموات والأرضين ليس إلا الله سبحانه وتعالى، فثبت أن الرزق ليس إلا من الله تعالى، وأما أحوال الحواس فكذلك، فأن أشرفها السمع والبصر. فجوابهم سيكون عن هذه الأسئلة الخمسة: أن الفاعل لذلك كله هو الله رب كل شيء، لا جواب غيره، ولا مجال للمكابرة في ذلك. فقيل لهم: أتعلمون هذا فلا تتقون أنفسكم عذابه، ولا تتقون عقابه لكم عن شرككم وعبادتكم لغيره مما لا يملك نفعا ولا ضرا!! فذلكم الذي يفعل ما ذكر هو الله ربكم خالقكم ومدبر أمركم، هو الحق الثابت بذاته الحي القيوم، لا إله غيره ولا معبود سواه.ثم يأمره بمحاورتهم مرة أخرى ويبين الله تعالى عجز آلهة المشركين، وعدم اتصافها بما يوجب اتخاذها آلهة مع الله أي: يبتديه بصيغة استفهام بمعنى النفي والتقرير، أي: ما منهم أحد يبدأ الخلق ثم يعيده، وهي أضعف من ذلك وأعجز، من غير مشارك ولا معاون له على ذلك، أي: تصرفون، وتنحرفون عن عبادة المنفرد بالابتداء، والإعادة إلى عبادة من لا يخلق شيئا وهم يخلقون.ثم يبين الله تبارك وتعالى لنبيه سؤالا آخر يحاور به المشركين ويطرحه على مسامعهم، فيقول له: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: هل من آلهتهم وأوثانهم الذين تدعون من دون الله، من يهدي إلى الحق؟ أي: من يرشد ضالا فيبين له الطريق المستقيم؟ فإنهم لا يستطيعون أن يدعوا أن آلهتهم وأوثانهم ترشد ضالا أو تهدي مستجيرا؛ وذلك لأنهم إن ادعوا ذلك فإن المشاهدة تكذبهم، وسيبين عجز هذه الآلهة الاختبار بالمعاينة، فإذا قالوا: "لا"، فقل لهم: فالله يهدي الضال عن الهدى إلى الحق، فهل من يهدي أيها القوم ضالا إلى الحق، وجائرا عن الرشد إلى الرشد، أحق أن تتبعوه إلى ما يدعو إليه

ثانيا: الحوار حول القرآن:ومن الآيات الكريمات في سورة يونس –عليه السلام– التي استخدم الله –عز وجل– فيها أسلوب المحاورة في التربية الإسلامية؛ ليعلم النبي –صلى الله عليه وسلم– والأمة الإسلامية كلها كيفية الحوار مع المشركين، والدعوة إلى الله –عز وجل– عن طريق الحوار، ما يلي:في هذه الآيات ينكر على المشركين الجاهلين القائلين بأن محمدا صلى الله عليه وسلم قد افترى هذا القرآن من عنده، وتحداهم أن يأتوا بمثله، فقال:أي: بل أيقولون: اختلقه محمد؟! فقد زعمتم أنه جاء بهذا القرآن، ومحمد بشر مثلكم، فأتوا بسورة من جنس هذا القرآن، ولو بما يشابه أقصر سورة فيه في النظم والأسلوب، والقوة والإحكام، والبلاغة والدقة، واستعينوا على ذلك بمن قدرتم عليه من إنس وجان، ولن تستطيعوا فعل شيء فإن جميع الخلق عاجزون عن معارضته أو الإتيان بمثله

ثالثا: الحوار حول يوم القيامة:لقد اعتمد القرآن أسلوب الحوار الحر في دعوته التي لم يكره أحدا على الدخول فيها أو التزامها، وهو الأسلوب الذي يعده حتى الوضعيون هو الأرقى والأمثل؛ ليربي الدعاة إلى الله على أسلوب الحوار والتفكير الهادئ، ومن هذه الآيات في سورة يونس أيضا قوله تعالى:ومن هنا كان لابد لزاما على القائمين على الدعوة الإسلامية أن يتقنوا فن الحوار من أجل الوصول إلى قلوب البشر، والتأثير فيها نحو الفضيلة والاستقامة على منهاج الله تعالى، وأن يكون قدوتهم في ذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– فقد اهتم –صلى الله عليه وسلم– بأسلوب الحوار، وجعل منه منهجا في خطاباته للناس ودعوته لهم؛ لما له من أثر وتأثير بالغين في نفوس المدعوين وعقولهم؛ ولما له من تحفيز على الطاعات وترك للمعاصي، ولما فيه من تلقين توجيه تربوي لكل الدعاة والمربين إلى يوم القيامة.

المطلب الرابع: التربية بضرب الأمثال.

ومن أساليب التربية الإسلامية التي استخدمتها سورة يونس –عليه السلام، أسلوب التربية بضرب الأمثال، وقد تكلم الإمام الرازي –رحمه الله– عن هذا الأسلوب العظيم والهام، وبين أنه من أفضل أساليب التربية الإسلامية في مواضع كثيرة من هذه السورة المباركة، ومن ذلك.وهذا مثل من أحسن الأمثلة، وهو مطابق لحالة الدنيا، ضربه الله –تبارك وتعالى– لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها، بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض، بماء أنزل من السماء، مما يأكل الناس من زروع وثمار على اختلاف أنواعها وأصنافها، وما تأكل الأنعام من أب وقضب وغير ذلك، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها أي: تزخرفت في منظرها، واكتست في زينتها، فصارت بهجة للناظرين، ونزهة للمتفرجين، وآية للمتبصرين، فصرت ترى لها منظرا عجيبا ما بين أخضر، وأصفر، وأبيض وغيره، وظن أهلها الذين زرعوها وغرسوها أنهم قادرون على جذاذها وحصادها، فبينما هم كذلك إذ جاءتها صاعقة أو ريح شديدة باردة، فأيبست أوراقها وأتلفت ثمارها؛ ولهذا قال تعالى: أي: يابسا بعد الخضرة والنضارة كأن لم تغن بالأمس أي: كأنها ما كانت حسناء قبل ذلك، وقال قتادة: كأن لم تغن كأن لم تنعم، وهكذا الأمور بعد زوالها كأنها لم تكن.وقال الرازي: "المثل: قول يشبه به حال الثاني بالأول، ويجوز أن يكون المراد من المثل الصفة والتقدير: إنما صفة الحياة الدنيا. ومن هنا ينبغي للمعلم أن يستعين بأسلوب ضرب المثل قال الماوردي: «من أعظم علم القرآن علم أمثاله والناس في غفلة عنه لاشتغالهم بالأمثال وإغفالهم الممثلات».فالله سبحانه ما ضرب الأمثال للناس في كتابه الحكيم بل في جميع كتبه إلا لما لها من الأثر البالغ في تفهيمهم وتعليمهم، فضربها سبحانه وصرفها رحمة بعباده؛ ليتعلموا من ربهم ويفهموا عنه بمختلف أساليب البيان، قال تعالى: قال الشيخ عبد الرحمن السعدي مبينا ذلك: «أي لأجلهم ولانتفاعهم وتعليمهم؛ لكونها من الطرق الموضحة للعلوم؛ لأنها تقرب الأمور المعقولة، بالأمور المحسوسة، فيتضح المعنى المطلوب بسببها، فهي مصلحة لعموم الناس».فأسلوب ضرب الأمثال أسلوب عظيم وهام من أساليب التربية الإسلامية، لا يستغني عنه كل معلم وكل معلمة في تربية تلاميذه، وكل داعية إلى الله وكل داعية في تربية المدعوين، وكل أب أو أم في تربية أولادهما، ولا شك أن الإمام الرازي –رحمه الله تعالى– قد أوضح هذا جيدا من خلال تفسيره لهذا المثل، ومن خلال ما نقله عن أهل اللغة وأهل التفسير.

المطلب الخامس: التربية بالنظر والتفكير وأخذ العظة والعبرة.

ومن أساليب التربية الإسلامية العظيمة التي استخدمتها سورة يونس –عليه السلام، أسلوب التربية بالنظر والتفكير في ملكوت السماوات والأرض، وأخذ العظة والعبرة، وهو أسلوب هام من أساليب التربية الإسلامية، ومن ذلك التربية على النظر والتفكر في:

أولا: الشمس والقمر والليل والنهار:فالله –عز وجل– لما قرر ربوبيته وإلهيته، بين الأدلة العقلية الأفقية الدالة على ذلك وعلى كماله، في أسمائه وصفاته، من خلال بيان أحوال الشمس والقمر الدالة على التوحيد من جهة الخلق والإيجاد، وعلى إثبات المعاد من جهة كونهما أداة لمعرفة السنين والحساب، ثم ذكر المنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار، وما أبدع الله في السماوات والأرض، وأخبر أنها آيات فإن العلم يهدي إلى معرفة الدلالة فيها، وكيفية استنباط الدليل على أقرب وجه، والتقوى تحدث في القلب الرغبة في الخير، والرهبة من الشر، الناشئين عن الأدلة والبراهين، وعن العلم واليقين، وفي هذه الآيات الحث والترغيب على التفكر في مخلوقات الله، والنظر فيها بعين الاعتبار، فإن بذلك تنفتح البصيرة، ويزداد الإيمان والعقل، وتقوى القريحة، وفي إهمال ذلك، تهاون بما أمر الله به، وإغلاق لزيادة الإيمان، وجمود للذهن والقريحة.

ثانيا: السماوات والأرض:ثم يبين سبحانه في آيات أخرى أن له ملك السماوات والأرض، ويدعو إلى النظر والتفكير فيهما، وفي إحيائه للموتى، فيقول سبحانه: فالله –عز وجل– ينبه الناس قاطبة على أمور هي: أن الله مالك السموات والأرض، وأن وعد الله حق كائن لا محالة فلا مانع يمنعه من إنفاذ ما وعده، وأنه يحيي ويميت، وإليه مرجعهم، وأنه القادر على ما يريد، العليم بأماكن وجودهم قبل البعث والحشر في البر والبحر، وأن أكثر الكفار منكري البعث غافلون عن أمر الآخرة، مقصرون في الاستعداد لها، والله تعالى قادر لذاته على الإحياء والإماتة في الآخرة والدنيا، فلا تزول قدرته، والمادة القابلة بالذات للحياة والموت قابلة لهما أبدا. تبين هذه الآية الكريمة أن الله تعالى مالك من في السموات والأرض من الملائكة والإنس والجن مع شرفهم وعلو مكانتهم، فهم جميعا مملوكون له ومقهورون بسلطانه، وعبيد لمشيئته، وكذلك جميع كائناته، فهي أيضا تحت قهره وسلطانه، فإنه إذا كان العقلاء مملوكين له، وخاضعين لإرادته فما سواهم مما خلق لأجلهم، مملوك له، وناشئ عن قدرته ومشيئته، وتابع لتدبيره وإرادته، وهو الذي أبدع لكم الليل وجعله مظلما لتسكنوا فيه وتستريحوا من متاعبكم نهارا، وأبدع لكم النهار وجعله مضيئا لتتحركوا فيه لمصالحكم إن في هذا التدبير الحكيم في شأن الليل والنهار، لآيات عظيمة على وحدانية الله تعالى واستحقاقه وحده للعبادة، فوق ما مر من آياته جل وعلا، وهذه الآيات مسوقة لمن يسمعونها سماع تعقل وتدبر فينتفعون بها ولا يتشبثون بأوهام الشرك الواهنة، أما أولئك الذين يعرضون عن سماعها أو يسمعونها ولا يتدبرون فيها فلا سبيل لهم إلى الانتفاع بها، والانتقال من الضلال إلى الهدى.



فأسلوب التربية بالنظر والتفكير في ملكوت السماوات والأرض، وتقلب الليل والنهار، وأخذ العظة والعبرة، أسلوب هام جدا من أساليب التربية الإسلامية العظيمة التي استخدمتها سورة يونس –عليه السلام.

المطلب السادس: التربية بموعظة وهداية القرآن الكريم.

ومن أساليب التربية الإسلامية التي استخدمتها سورة يونس –عليه السلام، أسلوب التربية بالموعظة وبالتي هي أحسن، وخير واعظ وهاد هو القرآن الكريم، ولا شك أن الإمام الرازي –رحمه الله تعالى– قد تعرض لهذا الأسلوب الخطير في تفسيره في مواضع متعددة، وبين ما له من مكانة عالية، وأنه من أفضل الأساليب التربوية الإسلامية العظيمة، ومن ذلك يقول تعالى ممتنا على خلقه بما أنزله من القرآن العظيم على رسوله الكريم، بأنه قد جاءتهم ذكرى تذكرهم عقاب الله وتخوفهم وعيده، وزاجر لكم عن الفواحش وشفاء لما في الصدور أي: من الشبه والشكوك، من عند ربكم، فالله –عز وجل– وصف القرآن في هذه الآية بصفات أربعة: أولها: كونه موعظة من عند الله، وثانيها: كونه شفاء لما في الصدور، وثالثها: كونه هدى، ورابعها: كونه رحمة للمؤمنين. ولا بد لكل واحد من هذه الصفات من فائدة مخصوصة، والنبي –صلى الله عليه وسلم– كان كالطبيب الحاذق، وهذا القرآن عبارة عن مجموع أدويته التي بتركيبها تعالج القلوب المريضة، وإنما يعني بذلك جل ثناؤه القرآن، وهو الموعظة من الله، وهي دواء لما في الصدور من الجهل، يشفي به الله جهل الجهال، فيبرئ به داءهم، ويهدي به من خلقه من أراد هدايته به، وهدى، وبيان لحلال الله وحرامه، ودليل على طاعته ومعصيته، ورحمة يرحم بها من شاء من خلقه، فينقذه به من الضلالة إلى الهدى، وينجيه به من الهلاك والردى، وإنما ذلك للمؤمنين به والمصدقين الموقنين بما فيه، دون الكافرين به؛ لأن من كفر به فهو عليه عمى، وفي الآخرة جزاؤه على الكفر به الخلود في لظى.فعلى كل مسلم ومسلمة أن يأخذ أفضل الأساليب التربوية الإسلامية العظيمة من خير واعظ وهاد وهو القرآن الكريم، ويتعلم من أحكامه ويهتدي بهديه.

المطلب السابع: التربية من خلال زجر المخالفين للحق، ودعوة المؤمنين للثبات على الإيمان من خلال (قصة نوح عليه السلام).

ومن أساليب التربية الإسلامية التي استخدمتها سورة يونس –عليه السلام، أسلوب التربية من خلال زجر المخالفين للحق، ودعوة المؤمنين للثبات على الإيمان من خلال (قصة نوح عليه السلام)، وقد بين الإمام الرازي –رحمه الله– ما لهذا الأسلوب العظيم من أهمية وضرورة في التربية الإسلامية من خلال تفسيره لقصة نوح عليه السلام، ومن ذلك ذكر الإمام الرازي –رحمه الله– عند تفسير هذه الآيات، وهي المتضمنة قصة نوح –عليه السلام– أنه –سبحانه وتعالى– لما بالغ في تقرير الدلائل والبينات، وفي الجواب عن الشبه والسؤالات، شرع بعد ذلك في بيان قصص الأنبياء عليهم السلام؛ لعدة أسباب وهي: ١- أن الكلام إذا أطال في تقرير نوع من أنواع العلوم، فربما حصل نوع من أنواع الملالة فإذا انتقل الإنسان من ذلك الفن من العلم إلى فن آخر، انشرح صدره وطاب قلبه؛ ٢- وليكون للرسول عليه الصلاة والسلام ولأصحابه أسوة بمن سلف من الأنبياء، ٣- أن الكفار إذا سمعوا هذه القصص، وعلموا أن الجهال، وإن بالغوا في إيذاء الأنبياء المتقدمين إلا أن الله تعالى أعانهم بالآخرة ونصرهم وأيدهم وقهر أعداءهم، كان سماع هؤلاء الكفار لأمثال هذه القصص سببا لانكسار قلوبهم، ووقوع الخوف والوجل في صدورهم، ٤- أنها دليل على أن النبي –صلى الله عليه وسلم– إنما عرفها بالوحي والتنزيل.

أولا: الاعتبار بقوم نوح:وأساليب بيان القصة تتعدد وتختلف بحسب المناسبات وما يقتضيه مقامها، وهنا في سورة يونس في هذه الآيات وصف سريع لقصة نوح –عليه السلام– مع قومه، معناها: أخبر أيها الرسول مشركي مكة الذين يكذبونك بخبر قوم نوح الذي كذبوه، كيف أهلكهم الله بالغرق، وتحريض على الصبر، وموعظة لقومه بذكر قوم نوح وما حل بهم من العقوبة بالتكذيب.

ثم يبين الله –عز وجل– لهم أنهم إن تولوا وأعرضوا عن دعوة نوح عليه السلام وتذكيره لهم، فما سألهم على ذلك أجرا ولا مالا، إن يريد إلا الإصلاح ما استطاع وما توفيقه إلا بالله عليه توكل وإليه ينيب، يا قومنا إن أجرى وجزائي عند الله وحده، وقد أمرت أن أكون من المسلمين إليه المنقادين لحكمه، وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه.

ثانيا: استخلاف المؤمنين:بعد أن دعا نوح –عليه السلام– قومه كذبوه، فنجاه الله –عز وجل– والذين معه في الفلك وجعلهم خلائف، أي: جعل الذين معه في الفلك سكان الأرض خلفاء عن الهالكين، وأغرق سبحانه الذين كذبوا بآياته فانظر كيف كان عاقبة المنذرين، أي: آخر أمر الذين أنذرتهم الرسل فلم يؤمنوا.هذه الآيات حلقة من سلسلة قصصية جاءت على العادة القرآنية التي جرت عقب أكثر مواقف الجدل والحجاج والتعجيز والتحدي التي كانت تقوم بين النبي –صلى الله عليه وسلم– والكفار لتضرب لهم المثل وتذكرهم بمواقف ومصائر من سبقهم من أمثالهم فهي والحالة هذه متصلة بالسياق السابق اتصال تعقيب وتذكير، والحلقة تأمر النبي –صلى الله عليه وسلم– بأن يذكرهم بنبإ نوح وكيف أنه نجا مع من آمن معه وكيف هلك الكافرون، والآيات واضحة لا تحتاج إلى أداء آخر، وفيها بشرى وتثبيت وتطمين للنبي –صلى



الله عليه وسلم- والمؤمنين وإنذار للكفار، والبداية التي بدئت بها السلسلة تؤكد من أن هدف القصص القرآنية وحكمة تكرارها العبرة والتذكير والتمثيل والتكرار لتجدد المواقف وتكررها.

المطلب الثامن: التربية من خلال الحوار بين أهل الحق وأهل الباطل (قصة موسى عليه السلام نموذجا).

ومن أساليب التربية الإسلامية التي استخدمتها سورة يونس -عليه السلام، أسلوب التربية على الحوار بين أهل الحق وأهل الباطل من خلال (قصة موسى عليه السلام)، وهو أسلوب عظيم وهام من أساليب التربية الإسلامية، ولقد تكلم الإمام الرازي -رحمه الله- عن هذا الأسلوب العظيم، الذي دار بين موسى عليه السلام وبين فرعون وقومه، وهو حوار بين أهل الحق والباطل، ومن ذلك :

أولا: دعوة موسى لفرعون:يقول الله تعالى: ثم بعثنا من بعد تلك الرسل الذين أرسلناهم من بعد نوح إلى قومهم، موسى وهارون بني عمران، إلى فرعون مصر وأشراف قومه وسادتهم، بحججنا وبراهيننا على حقيقة ما دعوهم إليه من الإذعان لله بالعبودة، والإقرار لهما بالرسالة، فاستكبروا عن الإقرار بما دعاهم إليه موسى وهارون، وكانوا قوما آثمين بربهم، بكفرهم بالله، أي: استكبروا عن اتباع الحق والانقياد له وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين، كأنهم قبحهم الله أقسموا على ذلك وهم يعلمون أن ما قالوه كذب وبهتان.ثم وصف الله -عز وجل- بعض الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام وفرعون وقومه، فقال: قال لهم موسى منكرا عليهم وموبخا لهم: أتقولون للحق الواضح البعيد كل البعد عن السحر الباطل: إنه سحر، عجبا لكم أسحر هذا؟! والحال أنكم تعرفون أن السحر تخييل وتمويه، ولو كان هذا سحرا لاضمحل، ولم يبطل سحر السحرة، ولا يفوز الساحرون في ساحات الحقائق، وقضايا الدين، وأصول الحياة، وإقامة الممالك لأن السحر شعوذة وخفة يد لا تغير من الحقيقة شيئا، وقولهم: هذا سحر محذوف، والاستفهام بقوله: أتقولون؟ إنكار، ثم استأنف إنكارا آخر من قبله، فقال: أسحر هذا؟! وحذف قولهم الأول اكتفاء بالثاني من قولهم، منكرا على فرعون وملئه.

ثانيا: استمرار الحوار بين فرعون وموسى وهارون:ثم بين الإمام الرازي -رحمه الله- أن الحوار قد استمر في طريقه بين فرعون وملئه وبين موسى عليه السلام، فقال فرعون وملؤه لموسى -عليه السلام- بعد أن جاءهم بالحق المبين ولم يقبلوا دعوة موسى -عليه السلام، وعللوا عدم القبول بأمرين: الأول: قوله: أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا أي: لتصرفنا عن الدين الذي وجدنا عليه آباءنا، والسبب الثاني: في عدم القبول قوله: وتكون لكما الكبرياء في الأرض قال المفسرون: المعنى ويكون لكما الملك والعز في أرض مصر، أي: السيادة والرياسة والزعامة الدينية والدنيوية في الأرض بصفة عامة، وفي أرض مصر بصفة خاصة، ثم أكدوا إنكارهم لما جاءهم به موسى -عليه السلام- من الدين الحق فقالوا -كما حكى القرآن عنهم- أي: وما نحن لكما بمصدقين فيما جئتما به؛ لأن تصديقنا لكما يخرجنا عن الدين الذي وجدنا عليه آباءنا، وينزع منا ملكنا الذي تتمتع بكبريائه خاصتنا، وتعيش تحت سلطانه وقهره عامتنا.إن الله -عز وجل- قد أفرد وفصل الحوار في قصة موسى وهارون مع فرعون وملئه تفصيلا وافيا؛ لما لهذه القصة من خطر شديد وأثر عظيم، ولقد فسر الإمام الرازي -رحمه الله- هذا الحوار تفسيرا دقيقا؛ مبينا طريقته وأسلوبه ووسائله، وأهدافه وأهميته، إذ في الحوار فيها من العبرة والعظة أن قوة الحق تثل العروش، وتهد أركان الباطل مهما علا أصحابه، فقد كان الظفر لموسى -عليه السلام- وقومه على الجبار الطاغية الذي قال أنا ربكم الأعلى، حتى انتهى أمره بالغرق وصار مثلا وآية للآخرين.

المطلب التاسع: التربية على التوبة (قصة يونس عليه السلام نموذجا).

ومن أساليب التربية الإسلامية التي استخدمتها سورة يونس -عليه السلام، أسلوب التربية على التوبة والإيمان بالله قبل حلول العذاب، وقبل الوصول لمرحلة اليأس من خلال (قصة يونس عليه السلام)، وقد تكلم الإمام الرازي -رحمه الله- عن هذا الأسلوب التربوي في تفسيره الممتع، وبين أنه أسلوب عظيم وهام من أساليب التربية الإسلامية، ومن ذلك ما يلي:

أولا: التوبة قبل حلول العذاب:لما بين الله تعالى قبل ذلك أن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم[يونس: ٩٦، ٩٧]، أتبعه بهذه الآية؛ لأنها دالة على أن قوم يونس آمنوا بعد كفرهم وانتفعوا بذلك الإيمان، إذ المعنى: ما كانت قرية آمنت إلا قوم يونس آمنوا لما ذهب مغاضبا، وحذرهم العذاب الشديد، ورأوا تباشيره، فلما آمنوا كشفنا عنهم العذاب، ومنعنا عنهم الخزي والهلاك في الدنيا، ومتعناهم لما آمنوا إلى انقضاء آجالهم المقدرة لهم.فالله -عز وجل- رحمهم وتقبل منهم إيمانهم على سبيل الاستثناء، وكشف عنهم العذاب، ومتعهم إلى أجل، تعليما وتوجيها ليونس عليه السلام، والفرق بين إيمانهم وإيمان فرعون: أنهم آمنوا قبل وقوع العذاب بهم بالفعل، وإن كان بعد ظهور أماراته، وأما إيمان فرعون فكان عند اقتراب الموت ومعاينة الغرق وحين اليأس من النجاة، وفي هذا تعريض بأهل مكة، وحض شديد لهم على أن يكونوا على الأقل، مثل قوم يونس، آمنوا قبل أن يصلوا إلى درجة اليأس، مع احتمال حدوث العذاب كما وقع في قوم نوح

وعاد وثمود وفرعون وجنوده. وهذا كله بقضاء الله ومشيئته فيهم.ولا بد لذلك من حكمة لعالم الغيب والشهادة لم تصل إلينا ولم تدركها أفهامنا قال الله تعالى إلى قوله ، ولعل الحكمة في ذلك أن غيرهم من المهلكين لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، وأما قوم يونس فإن الله علم أن إيمانهم سيستمر بل قد استمر فعلا وثبتوا عليه والله أعلم.

ثانيا: لا إكره على الإيمان:ومن أساليب التربية في هذه الآيات منع الإكراه على الإيمان ولو شاء ربك –يا محمد– إيمان أهل الأرض كلهم جميعا لآمنوا دون أن يتخلف منهم أحد، بأن يخلقهم وفيهم الاستعداد للإيمان فقط كالملائكة، ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولكنه – سبحانه– لم يشأ ذلك؛ لأنه مخالف للحكمة التي عليها أساس التكوين والتشريع، والإثابة والمعاقبة، فقد اقتضت حكمته –سبحانه– أن يخلق الكفر والإيمان، وأن يحذر من الكفر ويحض على الإيمان، ثم بعد ذلك من كفر فعليه تقع عقوبة كفره، ومن آمن فله ثواب إيمانه.

أفأنت تكره الناس على الإيمان؟!! لا، لا إكراه في الدين لمخلوق أبدا وإنما الذي يقدر على الإكراه هو الله– سبحانه وتعالى– القادر على كل شيء، وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله وإرادته، ويجعل الرجس والهلاك على الذين لا يعقلون، ولا يختارون الخير ولا يسلكون سبل الرشاد والسداد فاعتبروا يا أولى الأبصار لعلكم تذكرون(.وقد تكلم الإمام الرازي –رحمه الله– عن أسلوب التوبة، وبين ما له من أهمية كبيرة في التربية الإسلامية، وأنه يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم من هذه الآيات الكريمات المبادرة بالتوبة إلى الله –عز وجل– قبل أن يحل العذاب به، أو قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال، وألا يكره أحدا على الإيمان، فالله عز وجل لو شاء ذلك لهدى الناس جميعا إليه.